كامل كيلاني

قصص علمية

النحلة العاملة

دار المعارف

كامل كيلانى

قصص علمية

النحلة العاملة

الطبعة العاشرة

دار المعارف
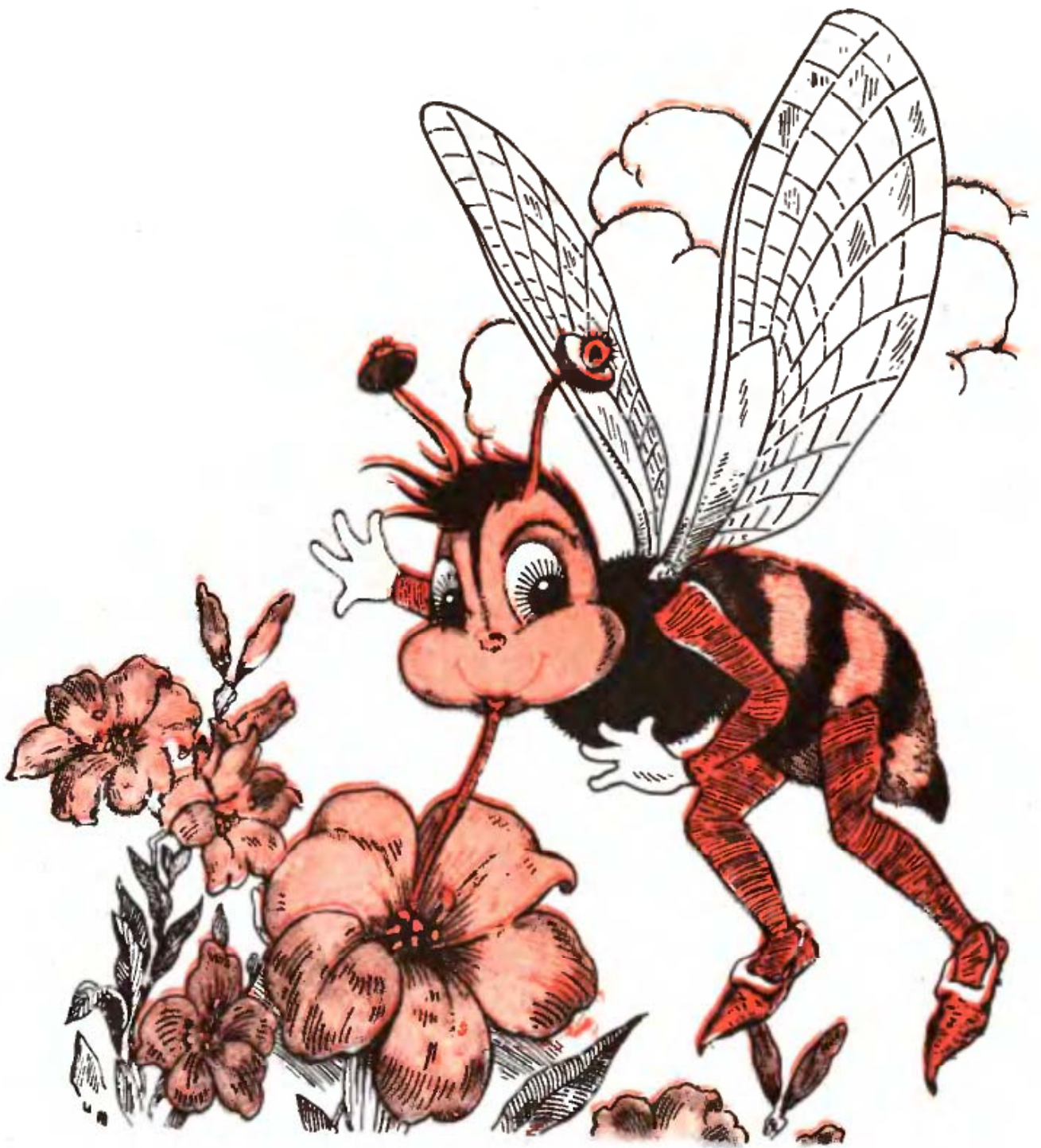
١ – جَمالُ الرِّيفِ

كان « صفاءُ » و « سُعادُ » مُبْتَهِجَيْنِ بِما رَأَياهُ مِنْ جمال الرِّيفِ .

وقد شكرا لِأَبيهما صَنيعَهُ (مَعْرُوفَهُ) الذى أسْداهُ (أَحْسَنَ بِهِ) إليهما ، إذْ أتاحَ لهما أن يَقضِيا شَطرًا كبيرًا مِنَ العُطْلَةِ الصَّيْفِيَّةِ فى دَسْكَرتِهِ (مَزْرَعَتِهِ). وَكان قَدِ اشْتَرى هٰذهِ الدسْكَرَةَ فى العامِ الماضى .

وقد أَعْجَبهما منَ الرِّيف : سِحْرُهُ المُتَجَدِّدُ ، وهواؤُه النَّقِيُّ ، ومَناظرُه الفاتِنَةُ . وكانا يستيقظان كلَّ يوم — فى الصباحِ الباكرِ — لِيَمْتَعا برؤيةِ شروقِ الشمس ، وَتغريدِ الطُّيور . وليس أرْوَحَ للنفسِ ، وأبهجَ للعَيْنِ ، وأَمْتَعَ للأُذنِ ، من التَّفرُّجِ (التَّخلُّصِ مِنَ الضِّيقِ) بروائعِ الرِّيفِ ومَفاتِنهِ .

فإذا طلع الفَجْرُ ، استيقظَتِ الزَّرازِيرُ ، وخَرجتْ من أوكارِها ، تستقبلُ نُورَ الصَّباحِ فى بَهْجَةٍ وَانْشِراحٍ ، وظَلَّتْ تُزَقزِقُ فرحانةً مَرِحةً ، كأَنما تَهْتِفُ بالشَّمْسِ وتُحَيِّيها . ثُمَّ تنْبَعِثُ — على أَثَرِ ذلك — آلافٌ من الأغاريدِ العذْبةِ ، من المَرْجِ (الْأَرضِ الْمفرُوشَةِ بِالنَّباتِ) والْحَقْلِ ، والسَّهْلِ والْجَبَل . فتَرِنُّ تلك الأغاريدُ ، متصاعدةً أنغامُها المُطْرِبةُ

فى الهواءِ مُؤْذِنَةً بطلوعِ الصباحِ ، مُبَشِّرَةً بِمَقْدَمِ الشمسِ ، الْحَبِيبِ إلى كل نَفْسٍ. فَيَهُبُّ النائمُ ، ويستيقِظُ الوسْنانُ ، وقدِ استعاد نَشاطَهُ ، واستقبل يومَهُ ، بعزيمَةٍ مُجَدَّدَةٍ ، وآمالٍ فَسِيحَةٍ .

وتَرَى النحلةَ العاملةَ تطيرُ من فَـنَنٍ إلى فَـنَنٍ ، وتتنقَّلُ من زهرَةٍ إلى زهْرةٍ ، وهى تَطِنُّ فرحانة ، وتقول :

« لقد حانَ وقتُ العملِ ، وانقضَتْ فَـتْرَةُ النومِ . وليس يَليقُ بى أَن أتأخَّرَ عن أَداءِ ما علىَّ من فُروضٍ وواجباتٍ ، لخَيْرِ الناسِ ، ونفعِ الإنسانيَّةِ . ولقد سبقَتْنى من أسْرابِ النّمْلِ « أمُّ مازِن » و « أمُّ مشغولٍ » وإخْوَتُهما ، وخرجتْ من مساكِنِها ، باحثةً عن طعامِ يومِها ، فى جِدٍّ ونشاطٍ عجيبَيْن . »

ويَهُبُّ الفَرَاشُ من نومِه ، وقد استجدَّ نشاطَه ، ويَرِفُّ بِجَناحَيْه — وقد بلَّلَـهما الندَى — ويطيرُ إلى الأزهارِ التى لَمَّا تتفتَّحْ أكمامُها (لَمْ يَتَفَتَّحْ وَرَقُها الَّذِى يُغَطِّيها بَعْدُ) .

ثم تَمشى قُطعانُ الغنمِ (جَماعاتُها) إلى مرعاها الخِصْبِ ، وتَرِنُّ أجراسُها

الصغيرةُ في أثناء سيرِها ، حتى تصلَ إلى الحقلِ ، حيث تَقْضي يومَها سعيدةً وادعةً . فإذا مالَتِ الشمسُ للغُروب ، عادتِ الأطيارُ إلى أوكارِها ، وأخْفَتْ رءُوسَها تحت أجنحَتِها ، وضَمَّتِ الزَّهراتُ أكمامَها ، وهدأَتْ أصواتُ الكائناتِ ، فلا تسمع في سُكونِ الليلِ إلَّا أغاريدَ البُلبُلِ العذبةَ ، يُرْسِلُها من أعلَى فَنَنٍ (غُصْنٍ) في دَوْحَتِهِ ، وقد فاضَ قلبُه سُرُورًا ، فأَوْدعَ أنْغامَه الْمُطْرِبةَ أحلامَ السعادة التي يَنْشُدُها .

وتُضِيء النجومُ فيَخالُها (فيَظُنُّها) الرائي مصابيحَ صغيرةً ، مُعلَّقَةً في السماءِ . ثم يسطَعُ نورُ القمر الفِضِّيُّ ، ويرسِلُ أَشِعَّتَه على الكون ، فيملؤُه بهجة ورَوْعَةً ، ويُضْفِي من سِحْرِهِ على الحقول والمُروج ، فيَزيدُها فِتْنَةً إلى فتنَتِها .

ثم تَخْرُجُ الحَشَراتُ من مخابِئِها ، وتستيقظُ حارساتُ النباتِ ، لِتَسْهَرَ على نباتِ الْحَقل وحُبوبِه ، فتخرُج أُمُّ الصِّبيان : تلك البومةُ الناعِبَةُ ، وتَظْهَرُ الخَفافيشُ والقنافذُ من مكامِنِها ، ذاهبَةً إلى الحُقول في غير ضَجَّةٍ ، مُرْهِفَةً آذانَها ، متربِّصَةً بالحشراتِ المُؤْذِية ، فَتَفْتِكُ بأعداءِ الفَلَّاحِ ، وتَلْتهِمُها في غير رحمةٍ .

فإذا انتصف الليلُ ، رأيتَ كلبَ الحِراسة لا يزال ساهرًا يَقِظاً أمام الدَّارِ ، وقد نام صاحبُه . فيخيِّل إليك — فِى وِقْفَتِهِ الحازِمَةِ — أنه شُرْطِىٌّ يتأهَّب (يَسْتَعِدُّ) للقَبْض على الأشرارِ !

فإذا استيقظتِ الخَنْساءُ — تلك البقرةُ السمراءُ — سَمِعْتَها تقول : « ما أسعدَها ليلةً قَضَيْتُها ناعِمَةَ البالِ ! »

ثمَّ تلتفِتُ إلى صديقِها الجوادِ (الحِصانِ) ، قائلةً :

« انهضْ من سُباتِك يا لاحِقُ ، فقد حانَ وقتُ العملِ ! »

فَيُحَيِّيها صديقُها « لاحِقٌ » ، وهو يضربُ الأرضَ بِسُنْبُكِهِ (حافِرِه) ويُجيبُها : « صدقتِ يا خنساءُ . فقد حُقَّ علينا أن نَعْمَلَ ، وما خُلِقْنا إلَّا لِنَعْمَلَ . وهأنذا أترقبُ فَطُورى ، لأستَجِدَّ به قُوَّتى ونشاطى . فإنَّ عملى — فى هذا اليوم — شاقٌّ مُتْعِبٌ . . . . أَرهِفِى أُذُنَيْكِ ، يا خَنْساءُ . ألا تَسْمَعِين صوتَ السَّيِّدِ ، وهو يُعِدُّ المِحْراثَ فى فِناءِ الدَّارِ؟ »

وبعد قليل تَرَى الخنساءَ ، وصديقَها لاحِقًا : دائِبَيْنِ على العمل ، فى جِدٍّ

ونشاط ، لِسَقْىِ الحشائِشِ والأزهار . وهِىَ تَجْرَعُ الماءَ فى شَرَهٍ عجيبٍ ، لِتُرْوِىَ ظمأَها الشديدَ .

وتخرُجُ الدِّيدانُ من شُقُوقِ الأرضِ ، وتَسْلُكُ طريقَها فى الوحَل ، وهى بهذا جِدُّ سعيدةٍ .

ثم يجرى « الحلزون » فى الْمَمْشَى الرَّطْبِ ، وتقْفِزُ الضفادعُ على حافاتِ الْحُفَرِ ، وتَخْرُجُ البِرَصَةُ من مخابئها . حتى إذا انقضى النهارُ ، شبِع هؤلاء جميعًا ، ولم يَبْقَ لهذه الكائناتِ إلَّا أن تَنامَ .

وترى الْحُصَّادَ الَّذِينَ يَجْمَعُونَ الثِّمارَ عائدين — وقتَ الغروبِ — إلى ديارِهم ، وهم يُغَنُّون فرحينَ مبتهجين ، يشكرون لِلّهِ — سبحانَهُ — ما أسبَغه (ما أَوْسَعَه وأَتَمَّهُ) عليهم من نِعْمَةٍ ، وما رَزَقَهُمْ من خَيْرٍ .

٢ — أُنْشودَةُ الْيَعْسُوبِ

فى هذا الْجوِّ الْمَرِحِ ، وبَيْنَ تِلكَ الْمَباهِجِ الفاتنةِ ، والْمَظاهِرِ الْجَمِيلَةِ : عاشَ « صفاءُ » و « سُعادُ » . فلا غَرْوَ إذا تملَّكَهُما حُبُّ الرِّيفِ ، والإعجابُ بِجَمالِهِ ، وَوَدَّا لو قضيا كلَّ وقتِهما فيه !

وَذا صباحٍ ، كان « صفاءُ » و « سعادُ » جاثِمَيْنِ عَلَى بِساطٍ سُنْدُسِيٍّ (حَرِيرِيٍّ) أَخْضَرَ (وهُوَ الزَّرْعُ النَّاضِرُ الْبَهِيجُ) ، فى حديقةِ الدَّارِ . وكان ذلك المكانُ هو أحبَّ أماكنِ الريفِ إليهما . وإنهما لَيَنْعَمان

بما يكتنِفهُما (يُحِيطُ بِهما) من المناظر الجَذّابة ، إذْ طرَق أسماعَهُما صوتٌ رقيقٌ يناديهما ، فى عُذُوبَةٍ وتَوَدُّدٍ :

« إلىَّ يا سُعادُ ! إلىَّ يا صفاءُ ! »

فَتَلَفَّتَا — يَمْنَةً ويَسْرَةً — ونَظَرَا إلى عَلٍ ، فلم يَرَيا أحدًا .

فقالت « سُعادُ » :

« ما أغْرَبَ هذا الصَّوْتَ ! تُرَى : مَن يُنادينا ؟ »

فعادَ الصَّوْتُ — مرةً أخرَى — يقول :

« لا غَرابَةَ فى ذٰلكِ يا عزيزتى ! »

فأخذا يُحَدِّقان ، ويَبْحثان فِى كلِّ مكانٍ ، لعلَّهما يهتديانِ إلى مَصْدَرِ الصوتِ . وأجالا أبصارَهما فى الأَزْهارِ والأشجارِ ، فلم يَشْهَدا أحدًا مِن الناسِ .

فقال « صفاءٌ » :

« هذا صوتٌ عجيبٌ ، لم أسمعْ له مثيلًا ، طُولَ عمرى . فأين صاحبُه يا تُرى ؟ »

فقال الصَّوْتُ :

« أُقسِمُ بِعَسَلِيَ الشَّهِيِّ اللذيذِ : إنَّكما لن تستطيعا الاهتداءَ إليَّ مهما تَبْذُلا مِنْ جُهدٍ ! »

ثم استأنف الصَّوْتُ قائلاً ، في نَغْمَةٍ بهيجةٍ :

« أنا يعْسُوبٌ نَشِيطٌ وأنا أُمُّ الخَلِيَّهْ
أنا في النَّحْلِ أميرٌ خادِمٌ بينَ الرَّعِيَّهْ

* * *

عسَلِي حُلْوٌ لذيذٌ عسلي أشْهَى غِذاءْ
فَكُلُوهُ في فُطُورٍ وغَداءٍ وعَشاءْ

* * *

عَسَلِي خيرُ طعامٍ لِصَحِيحٍ وسَقِيمْ
هلْ عَرَفْتُمْ أنَّ شُهْدِي مَصْدَرُ الْخَيْرِ الْعَمِيمْ ؟

* * *

أنفعُ النَّاسَ ، وحَسْبِي أَنَّنِي أَحْيا لِأَنْفَعْ
أَنفعُ النَّاسَ ، ومالِي غَيْرُ نَفْعِ النَّاسِ مَطْمَعْ . »

فابتهجَ الشَّقِيقانِ بِسَماعِ هـذه الأُنْشُودةِ الْجميلةِ ، وأُعْجِبا بِغِناءِ

الْيَعْسُوبِ أَيَّما إعْجابٍ . وتَلفَّتا ، فرأيا أَميرةً من أميراتِ النَّحْل ، ذاتَ فِرَاءٍ ، يَميلُ لوْنُها إلى السَّوادِ ، يُمازجُه لَوْنٌ بُرْتُقالِىٌّ ، وهى واقفةٌ على إحْدَى الزَّهَراتِ الْقَرِيبَةِ منهما ، وقد تأَلَّقَ مُحَيَّاها البَهِىُّ (لَمَعَ وَجْهُها الْحَسَن) ، وبَدا فى مِثْلِ جَمالِ الْوَرْدِ ، ولَمَعتْ عيناها الواسعتانِ ، وبَدا جَناحاها اللطيفانِ ، وقد كساهما ريشٌ خفيفٌ ، وهما يتهاديان (يَتمايَلانِ) إلى الأَمامِ تارةً ، وإلى الوراءِ تارةً أُخْرَى . ورَأَيا — فى كِلْتا يدَيْها — قُفَّازَيْنِ لامِعَيْنِ ، أَصْفَرَيْنِ . كما رأيا فى — قدَمَيْها — حِذاءَيْنِ برَّاقَيْنِ ، يُخَيِّلانِ — لِمَنْ يراهُما — أَنَّهما قَدْ صُنِعا مِنْ أَدِيمٍ (جِلْدٍ) ثمينٍ مَصْقُولٍ (ناعِمِ الْمَلْمَسِ) .

وَأَبْصَرا ذٰلك الْيَعْسُوبَ الظَّرِيفَ يَحْمِلُ قَوْسًا — بُرْتُقالِىَّ اللَّوْنِ — تَحْتَ ذَقَنِه . وقد شاعَتْ على فَمِهِ ابْتِسامَةٌ زاهِيَةٌ ، تَتمَثَّلُ لَكَ فيها أحلامُهُ البَهِيجَةُ (السَّارَّةُ) .

٣ — حِـــوارُ النَّحْلَةِ

ثمَّ اقتَرَبَتِ اليَعْسُوبُ من « سُعادَ » ، ووقفَتْ إلى جِوارِها .

ففرِحَتْ برؤيَتِها ، وقالتْ لها :

« لَقدْ عَرَفْتُكِ ، أيتها الصَّديقَةُ الكَرِيمَةُ . فأنت — بِلا رَيْبٍ (بلا شَكٍّ) — مَلِكَةُ النحل التى طالما حدَّثَنا عنها أساتِذَتُنا وأَهْلُونا . »

فقالت « اليعسوبُ » : « صدقتِ يا سعادُ ، ولم تُخْطِئى جادَّةَ الرَّأْيِ (طَرِيقَ الصَّوابِ) . »

ثُمّ اسْتَأْنَفَتْ حَدِيثَها ، مُغَنِّيَةً الأُنْشُودَةَ التَّالِيَةَ :

« النَّحْلُ أَنْشَطُ عاملٍ وأَبَرُّ مَخْلوقٍ بِكُمْ
فى شُهْدِهِ أَشْهَى الْغِذَا ءِ ، وشَمْعُهُ نُورٌ لَكُمْ
أَجْدَى عليكمْ من دَجا جٍ ، صائحٍ فى بيتِكمْ
أَجدى عليكم من جِدا ءٍ ، رُتَّعٍ فى حقْلِكمْ
أَجدى عليكم من نِعا جٍ ، ثاغِياتٍ عندكمْ
وأَبَرُّ مِن بقراتِكم وأَجَلُّ من نَخَلاتِكمْ
ومِنَ الجيادِ الصَّافِنا تِ ، وما حَوَتْه أرضُكمْ »

فابتسمتْ « سعادُ » ، وقالتْ مبتهِجَةً :

« ما أظرفَها أُغْنِيَّةً ، وما أجملَه صَوْتًا ، وما أصدَقَه كلامًا ! »

فقال « صفاءُ » :

« ولٰكنكِ شديدةُ الزَّهْـــوِ ،
أيتها النحلةُ
الكريمةُ .
فإن عسلَكِ
اللّذيذَ الطعم — على ما فيهِ
من فوائدَ جليلةٍ — هو
أقلُّ نفعًا من صُوفِ الغنمِ .
على أَنَّ كلَّ جِنْسٍ من
أجناس المَخْلوقاتِ يرَى
نفسَه أجدرَ من غيرِه
بالفخرِ ، وأحقَّ مِن سِواهُ
بالإعجابِ ! »

فقالت « سعادُ » :

« إن فوائدَ النَّحلِ ومنافِعَه جليلةٌ ، لا يُحْصِيها الْعَدُّ . »

فقالت اليَعسوبُ :

« ألا تَعْلَمان أنَّ فى عسلى شفـاءً للمريضِ ، وقوَّةً للسَّقيم ، وجَلاءً للصَّوْتِ ؟ ألم تسمعا أن المُغَنِّين والمُغنِّياتِ ، والمُمَثِّلينَ والممثلاتِ ، يأكلون من شُهْدِى ، قُبَيْلَ الغِناء أو التمثيلِ ، ليُجَوِّدُوا فى غنائِهم ، ويُطْلِقُوا مِنْ ألسنَتِهم ؟ »

فقال « صفاءٌ » :

« لعلَّك فى عُطْلَةٍ مِثْلَنا ، أيتها النَّحْلةُ الكريمة ؟ »

فقالت له مَلِكةُ النَّحْلِ :

« لستُ فى عُطلَةٍ ، كما تظنُّ . ولـكنَّنِي قادمَةٌ من رِحلةٍ شاقةٍ . وقد جئْتُكما من بَلَدٍ بعيدٍ لأُشاهِدَكما ، وأتَحدَّثَ إليـكما بأعذبِ الأحاديثِ التى تُعْجِبُكم وتُطْرِبُكم . »

فقالت « سعادُ » :

« ما أشهى حديثَكِ ، أيَّتُها اليَعسوبُ ، فَحَدِّثينا بما تشائين . »

وقال « صفاءٌ » :

« كيف قطعتِ المَسافاتِ الشاسِعَةَ (الْواسِعَةَ) ، حتى وصَلْتِ إلينا ؟ »

فقالت اليعسوبُ :

« ليس أقدرَ منا – مَعشَرَ النَّحْلِ – على قطعِ المسافاتِ البعيدةِ ، في خِفَّةٍ وسُرْعَةٍ . ألا تعلمُ – ياصفاءُ – أن النحلةَ قادِرَةٌ على الطَّيرانِ إلى الأَمامِ والْخَلْفِ على السَّواءِ ؟ ألا تعلمُ أننا نقطعُ زُهاءَ (نَحْوَ) عشرين مِيلاً في الساعةِ ، إذا اعتزمْنا السفرَ من بلدٍ إلى آخرَ ؟ إن النحلةَ – يا عزيزي – تقطَعُ قُرابَةَ هذه المسافةِ ، ما دامت غيرَ مُثقَّلةٍ بالعسلِ ، أو بما تَجْنِيه من الأزهارِ . وليس يَعُوقُنا عن الطيرانِ بِمثلِ هذه السرعةِ إلَّا أن تَهُبَّ الرياحُ المُعاكِسَةُ لِسَيْرِنا ، فتعْترِضَنا في طريقِنا ، وتَعُوقَنا عن الوصولِ بِمِثْلِ هٰذه السرعَةِ . وربَّما مَطَرَتِ السماءُ ، فاختبأْنا بين أوراق الأزهار ، أو انزَوَيْنا (اسْتَخْفَيْنا) في ثُقُوب الجُدْران ، حتَّى إذا كَفَّ المَطَرُ (وقفَ) ، واصَلْنا الطَّيَرانَ . »

٤ – أجنحة النحل

فقال « صفاءٌ » :

« ما أظرَفَ أجنحتَك الغِشائيَّةَ (الرَّقيقةَ ، التي تُشْبِهُ الْغِشاءَ الخفِيفَ) !

ولـكـنّنى أعجَبُ مِنِ اختلافِ أجْنحةِ النحلِ ! » -

فقالت اليعسوبُ :

« إنِ الأجنحةَ تختلِف — بِلا شَكٍّ — تبَعًا لاختلافِ النوع . فأَجنحةُ النحلَةِ العاملَةِ ، إذا تأمَّلْتَها ، رأيتَها أقصَرَ أجنحةِ النحل جميعًا . على حين ترى أن أجْنحةَ « اليَمْخُورِ » هى أكبرُ أجنحةِ النحلِ . »

فقالت « سعادُ » :

« ما أكثرَ أرجُلَكِ ، أيَّتُها اليعسوبُ ! »

فقالتِ « اليَعسوبُ » :

« إنَّ لـكُلِّ نَحْلَةٍ — متى كَمُلَ نُمُوُّ جسمِها ، وتمَّ تكوينُها — ستَّ أرجلٍ . »

فقال « صفاءٌ » :

« خَبِّرينى — أيتهـا النحلةُ الذَّكيةُ — فى أىِّ مكانٍ من جسمِكِ تَخْزُنين العسلَ ؟ »

فقالت « اليعسوبُ » :

« للنحلةِ العاملةِ كيسٌ فى مُقدَّمةِ بطنِها ، وهو مُسْتَوْدَعُ الرَّحيقِ

(الْعَسَلِ) ، الذى تجمَعُه مِمَّا تَجْنِيهِ (تَقْطِفُهُ) مِنَ الأزهار والنبات ، وما إلى ذلك . ثم لا يلبَثُ أن يَتَحَوَّلَ عَسلًا ، فَتَمُجُّهُ النحلةُ العامِلةُ (تُخْرِجَه وتُفْرِزَه) . »

فقالت « سعادُ » :

« أليست كلُّ نحلة من نَحْلِ الخلِيَّةِ عاملةً ؟ »

فقالت « اليَعْسوب » :

« كلَّا يا سعادُ ، فإن النَّحْلَ أقسامٌ شَتَّى . والنحلةُ العاملةُ هى التى تَمْلَأُ الْخَلِيَّةَ شهْدًا . وهى تمتازُ عن غيرِها من النحلِ بتلكِ الأَغْشِيَةِ (الْأَغْطِيَةِ) الَّتى تَمُجُّ الشَّمعَ . »

٥ — أُسرةُ النحلِ

فقالت « سُعادُ » :

« لقد كنت أحسبُ أن النحلَ — كلَّه — مُتَّحِدٌ فى مزاياهُ وأشكالِه ولكنَّنى أراكِ تُحَدِّثيننى أن النحلةَ العاملةَ لها مِيزاتٌ تُفْرِدُها عن غيرِها من النَّحْلِ . وهذا ما لم يَدُرْ بِخَلَدِى (ما لَمْ يَمُرَّ بِخاطِرِى) قَطُّ . »

فقالت « اليعسوب » :

« إنَّ أسرةَ النحلِ تتألَّفُ من أنواعٍ ثلاثةٍ :

فأنا اليعسوبُ ، أو — كما يسمِّينى الناسُ — مَلِكةُ النحْل ، وأميرةُ الخَلِيَّةِ ، وسيِّدَتُها ، وأمُّ النحلِ الذى يعيشُ فى الخلايا .

أما اليماخِيرُ ، فَهِىَ الذُّكورُ مِنَ النَّحْلِ ، ومنها نتخذ جنودَنا وحرسَنا ، وهى قليلَة العددِ فى الْخَلِيَّةِ ، وجسمُها عريضٌ ، وهى أكثرُ النحل طنينًا (تَصْوِيتًا) ، وأبطؤها طيرانًا ، وأقلُّها نفعًا . أما سوادُ النحل عندنا فيتألَّفُ منَ النَّحَلاتِ العامِلاتِ ، وَهُنَّ أكثرُ نحلِ الخليَّةِ عددًا ، وأعظمُهن نفعًا ، لأنهنَّ أضعافُ أضعاف عددِ اليماخِيرِ . فإذا رأيتِ فى الخلية بضعَ مِئاتٍ منَ اليماخِيرِ : رأيتِ إلى جانبِها أُلوفًا عدَّةً من النحَلاتِ العاملاتِ . ومن هٰذه الْجَمْهَرَةِ (الطائِفَةِ) الكبيرة تتألف أُسرةُ النحْل . وهى جميعًا تَحْتَرِمُ اليعسوبَ ، وتدين لها بالزَّعامَةِ . ويتألَّفُ منها جماعةٌ تحرُسُها ، وتخدُمُها ، وتَفدِيها بأرواحِها ، إذا أَلَمَّ بها مَكْروهٌ (إذا أصابها سُوءٌ) . »

٦ — اليعسوب

فقالت « سعادُ » :

« فكيف نتعرَّفُ أَخَواتِكِ من اليعاسيبِ ، إذا رأيناها ؟ وأيُّ المزايا الخصائصِ تُفْرِدُها عن سائرِ أنواع النحْلِ ؟ »

فقالت اليعسوب :

« إننى أضعُ البيضَ ، ولا أتوانَى عن العمل لحظةً واحدة . وأنا أضعُ — فى كلِّ يوم — أكثرَ من أَلْفَىْ بيضةٍ فى عُيون الأقراصِ . ومن هذه البُوَيضاتِ يتكوَّن النحْلُ ، على اختلافِ أنواعِه . فلا عجبَ إذا سَمَّوْنِى : « أُمَّ الخلية » .

أما جسمى ، فهو — كما تريانِ — مستطيلُ الشكل ، طويلٌ فى مؤخَّرِه ، وأجنحَتى قصيرةٌ ، وعمرى أطولُ أعمارِ النّحْلِ جميعًا . فإننى أعيش سنواتٍ عِدَّةً . وفى لونى دُكْنَةٌ قليلةٌ (مَيْلٌ إلى السَّوادِ) . »

فقال « صفاءٌ » :

« أتقضِينَ طولَ عُمْرِكِ مِلكةً على النحْلِ ؟ »

فقالت اليعسوب :

« لا أزال مِلكةَ الْخَلِيَّةِ ، الجديرةَ بالاحترام والطاعةِ ، ما دُمْتُ فَتِيَّةً ، قَوِيَّة ، نشيطةً ، قادِرَةً على العمل . فإذا توانيتُ عن البَيْضِ – لِضَعْفٍ ، أو مَرَضٍ ، أو شَيخوخةٍ – قتلنى النَّحْلُ ، إذا لم يُعَجِّلِ الله بِمَوْتِى ، لِتَحُلَّ مكانى ملكةٌ أخرَى ، من شبابِ النحْل ، تمتازُ بالفُتُوَّةِ والنشاطِ ، والقدرة على الإكثار منَ البَيْضِ ، حتى لا ينقرِضَ النَّوْعُ . »

فصاح « صفاءٌ » و « سعادُ » مذعورَيْنِ :

« ما أقْبَحَهُ جزاءً ، وأسوأها خاتِمَةً ! أيكونُ القتلُ مكافأةً لكِ على نشاطِكِ وإخلاصِك ؟ »

فقالتِ اليعسوبُ :

« إن الموتَ – عندنا – عقابُ الكسلانِ ، والضعيف ، والعاجز عن العمل ! والبقاءُ – فى شريعَتِنا – للأصلحِ . وقد سادَ بيننا هـذا القانونُ فلا مَفَرَّ منِ اتِّباعِ أحكامِه . وليس فى قدرَةِ كائنٍ كانَ أن يغيِّرَ نصوصَه أو يبدِّلَها . »

٧ – اليَمْخُـــورُ

فقال « صفاءُ » :

« ما أشهَى حديثَكِ وأعجَبَه ، أيتها اليعسوبُ ! فهل تَتَفَضَّلِينَ علينا بالحديثِ عن اليَماخيرِ ، لنتعرَّفَها فلا نخطِئَها ؟ »

فقالت اليعسوبُ :

« إنَّ لليماخيرِ فائدةً لا تُنكَرُ ، وهى تلقيحُ اليعاسيب الصغيرةِ ، والاتصالُ بِها لتَبيضَ . ولٰكنَّها – بعد ذٰلك – لا تُؤَدِّى عملاً كبيرَ النَّفعِ ، لأنها تميلُ بطبيعتها إلى الكَسل ، فلا تعجَبا إذا قلتُ لكما : إننا – معشرَ النحلِ – لا نسمحُ لجَمْهَرَةٍ كبيرةٍ من اليماخيرِ أن تعيشَ معنا فى خليَّةٍ واحدَةٍ ! »

فقالت « سعادُ » :

« كيف نَميزُ اليمخورَ عن أخواتِه منَ النحلِ ؟ »

فقالت اليعسوب :

« إنه أصغرُ منى حجْمًا ، وجسمُه مُسْتَعِرضٌ ضخْمٌ . وليس له إبْرَةٌ

يَلْسَعُ بها ، مثلُ إبْرَتِى، أو إبْرَةِ النحلةِ العاملةِ . »

فقال « صفاءُ » :

« لماذا تصِفينَ اليمخورَ بالـكسلِ ؟ »

فقالت اليعسوبُ :

«ذلك بأنَّه يقضى أكثرَ وقتِه مُتبَطِّلًا ، بلا عَمَلٍ يُذكَرُ . فهو لا يُعَنِّى (لا يُتْعِبُ) نَفْسَهُ بالبحثِ عن غِذائِهِ ، ولا يسعَى لامتصاصِ رَحيقِ الأزهارِ . وإنما تُطعِمُه النَّحلاتُ العامِلاتُ ، وهو يَظلُّ نائمًا فى الخليةِ إلى منتصَف النَّهارِ ، ثم يطيرُ إلى الأزهارِ مُتنَزِّهًا ، ليستدْفِئَ بحرارةِ الشمسِ ، حتى إذا جاء الأصيلُ (وَقْتُ الْعصْرِ) عاد إلى خلِيَّتِه ليأكُلَ وينامَ . ولا يزالُ مستَسْلِمًا للنومِ ، حتّى يجيءَ الْغدُ . »

فقالت « سعادُ » :

« فما بالُكم تأذَنون له فى البقاءِ مُتَبطِّلاً ؟ »

فقالتِ اليعسوبُ :

« إننا نأذنُ لليماخيرِ أن تبقَى معنا فى أوقاتِ الرَّخاء ، فإذا حَلَّ فصلُ

الشتاءِ قلَّ زادُنا ، فاضْطُرِرْنا إلى قتلِ اليماخيرِ ، لنقتَصِدَ فيما ادَّخَرْناه فى خلِيَّتِنا من طعامٍ . »

٨ — النَّحْلَةُ العامِلَة

وأرادتِ اليعسوبُ أن تسترسِلَ فى حديثِها (تَمْضِيَ وَتُطيلَ) : ولٰكنها سمِعَتْ غِناءً مُعْجِبًا ، فأنصتَتْ إليه . وأصغَى « صفاءٌ » وأختُهُ إلى ذٰلك الصَّوتِ المطرِبِ ، وهو يُرَتِّلُ الأُنشودةَ التالِيَةَ فى الفَضاء :

أنا خيرُ العامِلاتِ   أنا رمــــزٌ للثَّباتِ

أَرْشُفُ الْمُرَّ مِنَ النُّوَّ ارِ بَيْنَ الزَّهَـراتِ

* * *

أَرْشُفُ الْمُرَّ فَيَغْدُو بَعْدَ مَا أَجْنِيهِ شُهْدَا
وَيَصِيرُ الْمُرُّ حُـلْوًا مستساغَ الطعمِ جدًّا

* * *

أَمْنَحُ الْمُشْتارَ شُهْدِى حالِيًا عَـذْبًا هَنِيًّا
عَسَلاً حُـلْوًا مَرِيئًا سائِـغَ الطَّعْمِ شَهِيًّا

فابتهجَ « صفاءٌ » و « سُعادُ » لسماع تلك الأُنشودةِ الْجَمِيلةِ . ونهض « صفاءٌ » فحيَّ تلك النحلةَ الْمُبْدِعةَ الجميلةَ . وقال لها :

« لقد عرفتُكِ يا عزيزتى . ولئن صدَق حَدْسِى (ظَنِّى وتَخْمِينى) ، وصحَّتْ فِراسَتى (تقْدِيرى بِذَكائى) لَتَـكونِنَّ : النحلةَ العاملةَ . »

فقالت له ، بعد أن رَدَّتْ تَحِيَّتَه بأحسنَ منها :

« لقد صدقتَ — يا صفاءُ — ولمْ تُخْطِئْ فِراستُك . فإننى أنا النحلة العاملةُ ، كما قُلْتَ . »

فقالتِ اليعسُوبُ :

« لقد كنتُ معتزِمَةً أن أحدِّثَكما عنِ النحلةِ العامِلَةِ ، ولكنها جاءتْ إليكما — من تلقاء نفسِها — لتحدِّثَكما بقصّتِها ، وهى أصدقُ مَن يتحدثُ عن نفسِه . »

فقالتِ النَّحْلَةُ العامِلَةُ :

« صدقتِ — يا مليكَتى المحبوبةَ — وإنى لقاصَّةٌ على هٰذين الصديقَيْن طَرَفًا يسيرًا من حديثى ، حتى إذا كَبِرا ، عرفا من أنباءِ قصَّتى ، ودقائقِ أَخْبارى ، ما يملأُ نفسَيْهما بَهْجَةً وانشِراحًا . »

فقالت « اليعسوبُ » :

« ها هى ذى نَحْلَتُنا العامِلَةُ تحدِّثُكما بقصتِها الْمُعْجِبَةِ ، وهى عمادُ الخلِيَّةِ . ومصدرُ الرخاءِ فيها ، وجالِبَةُ الخيرِ للنَّاسِ ، وباذلةُ حياتِها الغالِيَةِ رَغْبةً فى إسعادِكم ، مَعْشَرَ الآدميِّين ، وهى دائبةٌ على العمَلِ فى غيرِ هوادَةٍ ولا راحةٍ . »

فابتسمتِ النحلةُ العاملةُ ، وشكرَتْ لليعسوبِ ثناءَها عليها ، وقالت لها :

« إن أجدَرَ النحلِ بالثناءِ والشكرِ ، هُوَ أنتِ — يا مليكَتَنا العزيزةَ —

لأنكِ أمُّنا ، ومصدرُ وجودِنا في هٰذه الحياةِ . وإنَّما نقتدي بكِ في النَّشاطِ والدُّؤُوبِ على العملِ وليس لَنا فضلٌ يُقاسُ إلى فضلِك . لأن في الخلِيَّةِ آلافًا — من النَّحَلاتِ العاملاتِ — يشرَكْنَني في مزاياىَ وخَصائِصى . أما أنتِ ، فقدِ انفَرَدْتِ من بينِنا بالإمارةِ والسِّيادَةِ . »

فقالت « سعادُ » :

« وماذا تعملُ تلك النَّحَلاتُ يا عزيزتى ؟ »

فقالت لها :

« إن لنا — معشرَ النَّحَلاتِ العاملاتِ — أعمالاً مختلفةً ، مقسَّمةً بَيْننا . فمِنَّا من يقطِفُ الْجَنْىَ منَ الأزهارِ ، ليَمُجَّه شُهْدًا سائغًا ، لذيذَ الطَّعْمِ ، فيَضَعَهُ في الأقراصِ ، ويُغَطِّيَهُ بطبقةٍ رقيقةٍ منَ الشَّمعِ .

ومنا من ينظِّفُ الخلّيةَ ويحرُسها . ومنا : النحلةُ الساقِيَةُ التى تَجْلبُ الماءَ إلى الخليةِ ، والنحلةُ المربِّيَةُ : التى تُعْنَى بِصِغارِ النَّحْلِ ، والنَّحلةُ الرَّاعِيَةُ : التى تجمَعُ عصيرَ الأزهارِ وتمتَصُّ رحيقَها ، والنحلةُ البانِيَةُ : التى تَبْنِي أقراصَ الخلّيةِ مِنَ المُومِ (الشّمعِ) ، وتُعْنَى بتَنْسِيقِ عيونِها السُّداسيةِ الشكلِ . ومِنَّا الشُّرْطِيّةُ : الّتى تَحْفَظُ الأَمْن وتَرْعَى النِّظامَ ،

والْمُهَنْدِسَةُ : الَّتِي تُنَسِّقُ وتُرَتِّبُ الأَشياءَ. والخادِمُ: الّتِي تُؤَدِّي ما يَلْزَم لَنا من الحاجاتِ ، وما إلى ذٰلك من الطَّوائِفِ التى يَتأَلَّفُ منها أَهلُ المدينةِ الـكامـلَةِ . »

فقال لها « صفاءٌ » :

« فمَنْ تكونين — بين هؤلاء — أيتها النحلةُ العاملةُ الذكـيَّةُ ؟ »

فقالت له مبتسمة :

« أنا أقضِى جُلَّ وقتى (أَكْثَرَهُ) ، طائرةً من فَنَنٍ إلى فنن، متنقِّلَةً من

زهْرَةٍ إلى زهرة ، لأمتَصَّ رحيقَ الأزهارِ بلسانِىَ الطويلِ ، ثم لا يلبثُ غِذَائى هٰذا أن يتحوَّلَ عسَلاً سائِغًا للآكلين . ونحنُ نأكُلُ جُزءًا مِنَ الشُّهد الذى نمُجُّه ، ثم ندَّخِرُ الباقِىَ فى خليَّتِنا ، لنأكلَهُ فى فصلِ الشتاء ، حين لا نجدُ فى ذٰلِكَ الفصلِ ما نَمْتَصُّه مِنَ الأزهارِ . »

فقالت « سعادُ » :

«فمِنْ أيْنَ تحصُلون على ذٰلك المُومِ ، لتبْنُوا تلك الأقراصَ السُّداسِيَّةَ الشكلِ ؟ »

فقالتِ النحلةُ العاملَةُ :

« إن جُزْءًا مِمَّا نَرْشُفُه منَ الأزهارِ ، يتحوَّلُ — فى الغُدَدِ (قِطَعِ اللَّحْمِ الصُّلْبَةِ) ، التى فى مؤخَّرَةِ جسومِنا — إلى الشمَعِ الذى تُطلِقون عليه اسمَ : المُوم . »

فسألها « صفاءُ » :

« وما فائدةُ تلك النخاريب (الثُّقوبِ وَالْخُروقِ) السُّداسِيَّةِ الشكل ؟ »

فقالت له « اليعسوبُ » :

« فى هٰذه العيونِ : نَضعُ البيْضَ ، ونُرَبِّى صِغارَ النحلِ ، حتى تكبَرَ ،

فتصبحَ تلك العيونُ مَخازنَ لِشهادِنا . »

٩ — أَطوارُ النَّحْلَةِ

فقالت اليعسوبُ :

« لا تنسَيا حرفًا واحِدًا مما سَمِعْتُماه — أيها الصديقان — منَ النحلةِ العاملَةِ التى تُخْرِجُ الشُّهْدَ للناسِ ، فيصنَعُون منه المُرَبَّياتِ ، وأَلوانَ الحَلْوَى ، وما إِليها من لذائذ الأطعمةِ التى تُحِبَّانِها . »

فقال « صفاءٌ » :

« ليس أعذبَ من حديثِكُما ، ولا أشهَى من كلامِكما . ولقد عرَّفتُمانا — أنتِ والنحلةُ العاملة — ما لم نكن نعرِفُ ، وعَلَّمْتُمانا ما لم يكن لنا به علمٌ . فشكرًا لكما على هٰذه الفوائِدِ الجليلَةِ . »

فقالت « سُعادُ »

« ليتَكِ — أيتها النحلةُ العاملةُ — تُخْبِرينَنى عن أطوارِ حياةِ النحَلاتِ العاملاتِ شيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ! »

فقالت النحلة العاملةُ :

« إنَّنا – معشرَ النَّحَلاتِ العاملاتِ – نبدأُ أعمالَنا ، ونحن صغيراتٌ ، بإعدادِ الخلايا ، لنضعَ في نخاريبِها البُوَيْضاتِ الْمُلُوكِيَّةَ التى تبيضُها اليعسوبُ – مليكتُنا الجميلةُ – و نُعْنَى بتنظيفِها ، ولَعْقِ جوانبِها . ثم لا يَمُرُّ يومان – أو ثلاثةٌ – حتى نجتمعَ حول النخاريبِ ، لِنُدْفِئَ تلكِ البُوَيْضاتِ ، ثم نُعْنَى بتغذيتِها . »

فقالْ « صفاءٌ » :

« بماذا تُغَذِّينَها أيتها العزيزةُ ؟ »

فقالتِ النحلةُ :

« إننا نغذِّى تِلك الأطفالَ الناشئةَ بالعسلِ وطَلْعِ الزَّهَرِ ، ممَّا تَخْزُنُه أخَواتنا فى تلك النخاريبِ . »

فقالت « سعادُ » :

« لست أفهمُ ما تعنِينَه بِطَلْعِ الزَّهَرِ ! »

فقالت النحلةُ :

« أعنى ما نَخْزُنه من لَقاحِ الأزهارِ ، فى قافورِنا (وهُوَ وعاءُ الطَّلْعِ) » .

ثم استأنفتِ النحلةُ قائلةً :

« وتظل تلك الأطفالُ الناشئةُ سبعةَ أيامٍ ، ثم نَترك أمرَ العنايةِ بها إلى أصغرِنا سنًّا . ثم تُدرِّب هى نفسَها على الطيرانِ ، على مقربةٍ منَ الخليَّةِ ، حتى لا تَضِلَّ عنها .

فإذا عادتِ النحلُ إلى مَباءَاتِها (بُيُوتِها) ، نزعَتِ اللِّقاحَ والعسلَ من النحلِ القادمةِ ، لتخزُنَهما فى تلك النخاريبِ ، فَتَوَفَّرَ لها الوقتَ ، وتيسِّرَ لها العودةَ إلى جَنْىِ الأزهارِ فى أقربِ زمنٍ ، فإذا كَبِرَت تلك النحلاتُ ، اتخذْنا منهن حارساتٍ للخليةِ ، ليتعرَّفْنَ النحلَ القادمةَ ، ويَشْمَمْنَها ، حتى يَثِقْنَ بأنها من ساكناتِ الخليةِ . والويلُ للنحلةِ الغريبةِ ، فإنها لا تلبثُ أن يَكشِفَ حُرَّاسُنا حقيقةَ أمرِها ، فيعاقِبْنَها أشدَّ العِقابِ ، ويلسَعْنَها حتى تَفِرَّ هاربَةً ، وهى لا تكادُ تصدِّقُ أنها نجَتْ من الهلاكِ . »

١٠ — أعداءُ النحلِ

فقال « صفاءٌ » :

« ولِماذا تَخْشَيْنَ من النحلِ الغريبِ على خليّتِكنَّ ؟ »

فقالتِ النحلةُ العاملةُ :

« إِننا نَخْشَى على الخليةِ أن يَقتحِمَها لصوصُ النحلِ، فيسرِقوا ما ادَّخَرْناه لأبنائنا وأخَواتِنا من الشِّهادِ . »

فقالت « سعادُ » مدهوشةً :

« يا لَلْعَجَبِ العاجبِ ! أعندكم لصوصٌ وأشرارٌ ، تَتَّقُونهم ، وتحذَرون شرورَهم ؟ »

فقالت اليعسوبُ :

« ليس يخلو كائنٌ كان من أعداءٍ يَكيدون له ، ويتحيَّنون (يَنْتَظِرُون وَيَرْتَقِبُونَ) الفُرَص لإهلاكِه . »

فقالت « سعادُ » :

« لقد فهِمتُ من كلامِكِ أن للنحلِ أعداءً كثيرين ! »

فقالَت اليعسوبُ :

« ليس فى هٰذا أقلُّ شَكٍّ . فإِنَّ لنا أعداءً من بناتِ جنسِنا ، يحاوِلْن أن يسرِقْن ما فى نخاريبِنا من الشِّهادِ . ولنا أعداءٌ من النحلِ والضفادِع . فالأُولى تَسْرِق العسلَ وتأكُلُه . والثانيَةُ تصطاد النحلَ بلسانها ، وتَتَحَيَّنُ الفرصَ لذٰلك ؛ فلا تكاد ترى نحلةً مُتْعَبةً مكدودةً ، حتى تأخذَها على غِرَّةٍ

(غَفْـلَةٍ) ، وتأكلَها بما حملَتْه منَ العَسَلِ .

ومن أعدائنا : الفأرُ والزنابيرُ الصُّفْرُ . وهناك جمهرةٌ من الطيورِ تترَبَّصُ بنا الدوائرَ ، لتأكلَنا حين يشتدُّ بها الجوعُ ؛ ونحن نَتَّقِيها جهدَنا ، كما نَفِرُّ فِرارًا كلما رأينا واحدًا منالشراشيرِ والزَّرازير، وبعضِ العصافيرِ التى تُطلِقون عليها اسمَ : « عصافيرِ الجَنَّةِ » . وليس خوْفُنا من النَّقَّارِ بأقلَّ من خوفِنا من أولٰئك الذين حدَّثْتُكما بهم . ولنا أعداءٌ كثيرون غيرُ هؤلاء ! »

١١ — نَشيدُ النحلاتِ العاملاتِ

فقال « صفاءٌ » :

« إن حياتَكُن — يامعشرَ النحل — مستهدِفَةٌ (مُتعَرِّضَةٌ) لأخطارٍ شتَّى . وقد حزَنَنى — يا صديقَّ ما سمعتُه منكما ! »

فقالَتِ اليعْسوب :

« إن الْموتَ علينا حقٌّ . وليس يَعْنِينا إلا أن نُؤَدِّىَ واجبَنا فى هٰذه الحياةِ . أما قضاءُ الله ، فلا حيلةَ لأحدٍ فى دَفْعِه . »

واستأنفتِ النحلةُ العاملةُ قائلةً :

« لقد حدثتُكما عن عملِ النحلةِ، قبل سِنِّ العشرين . فهل تأذنان لى أن أحدثكما عما تفعلُه بعد هٰذه السنِّ ؟ » فقالت « سعادُ » :

« يا لله! وهل تبلغ النحلةُ عشرين عامًا ؟ »

فابتسمت النحلة ، وقالت :

« إنما عَنَيْتُ (قَصَدْتُ) عشرين يومًا – لا عشرين عامًا – يا عزيزتى .
فإن عُمْرَ النحْلِ قصيرٌ ، كعمر الأزهارِ والرياحين ! »

ثم استأنفتْ قائلة :

« فإذا بَلغتِ النَّحْلةُ العاملةُ سِنَّ العشرين، خرجَتْ مع النحْلِ لامتصاصِ الأزهارِ . وثَمَّةَ تُصْبِحُ فى عِداد النحَلات الأبكارِ . لأنها تُصْبح – حينئذٍ – قادرةً على التعسيلِ . »

فقال « صفاءٌ » :

« ما أعجبَ حياتَكُنَّ – أيتها النحْل – فإنها حياةٌ حافلةٌ بالْجِدِّ والخيرِ ! »

فقالت له النحْلة العاملة :

« صدقتَ يا صفاءُ ، فإن شعارَ النحْلةِ العاملة ؛ هو : حبُّ الْجِدِّ ، والتَّفانى فى عملِ الخيرِ . ألم تسمعْ نشيدَ العاملاتِ ؟ »

فقال « صفاءٌ » و « سعادُ » :

« كلاَّ ، لم نَسْمَعْهُ — يا عزيزتى — وما أشْوَقَنا إلى سماعِه منكِ ! »
فانطلقتِ النحْلة تغنِّى نشيدَ العاملات ، بصوتها العذبِ الْحَنونِ :

« إن حُبَّ الْجِدِّ دَأْبى وفَعالَ الخيرِ طبْعى
فأنا أُعطيك شُهْدى مثلما أُعطيك شمْعى

وحياتى مثل عُمْر الزّ هرِ ، تَذْوِى بعدَ حينِ
مثل عمر النرجس الغَضِّ ، وعمرِ الياسَمينِ

* * *

يَذْبلُ الورْدُ ، ويُبْقِى : أثرَ العِطْرِ ، شَذِيًّا
وأنا أترك شُهْدى لكمُ حُلْوًا شَهِيًّا

* * *

يَذْهَبُ الْمرءُ ، ويبقَى الا ذكرُ حيًّا لَيْسَ يُطْوَى
فلتكنْ آثارُكمْ أحـ سنَ ما يُحْكَى ويُرْوَى

* * *

ولتكن أخلاقُكم – مِن عِطْرِها – كالزهرِ طِيبًا

ولتكن شُهْدًا لذيذا يُبْرِئُ الْمَرْضَى طبيبَا

ولْأَكُنْ فى بيتِكم خيـرَ صديقٍ تأْلَفُونَهْ
وليكن شُهدى لكم أشهَى غِذاءٍ تَطْعَمُونَهْ

وَسَلُوا أنفسَكم فى كلِّ يومٍ: «ماصنعتمْ؟»
وأَحِبُّوا الخيرَ والبِرَّ، سعِدْتُمْ، وسَلِمْتُمْ!

واغنَموا أعمارَكم فى الباقياتِ الصالحاتِ
واجعلوا رمزَكُمُ الجِدَّ لنيلِ الْمَكرُماتِ!»

فطرِبَ « صفاءُ » و « سعادُ » من نشيد النحلةِ العاملة ، واستعاداه منها مرّاتٍ عدّةً ، حتى حفِظاه عن ظهرِ قلبٍ . وشكَرا لها تلك النصائِحَ الحكيمةَ أحسنَ الشكر .

فسألها « صفاءُ » :

« كم تعيشُ النحلةُ العاملةُ يا عزِيزتى ؟ »

فقالت له :

« إن أكثرَ العاملاتِ يُخاطِرْنَ بحَياتِهنَّ (يُعرِّضْنَها لِلخَطر) ، ويُجْهِدْنَ أنفُسَهُنَّ فى العمل داخلَ بيوتِهِنَّ ، فلا يَعِشْنَ أكثرَ من ستَّةِ أسابيعَ ، وبعضُهن يخرُجْن إلى الأزهارِ ، لرَشْفِ رحيقِها ، فيُعَمَّرْن (يَعِشْنَ) بضْعَةَ أَشْهُرٍ .

ولكلٍّ واحدَةٍ منا عملٌ تؤدِّيه ، مُخْلِصَةً فى أدائه ، كما حدَّثْتُكما .

والمُنافَسَةُ بينَنا شديدةٌ ، فإن كلَّ نحلَةٍ منا تسابِق الأخرى فى جُهودها .

فإذا عجزَتْ إحدانا عن العمل : قتلتْها رفيقاتُها ، لأن الحياةَ فى الخلية وقفٌ على الأصلحِ ! »

فقال « صفاءٌ » :

« ما أقْسَى شريعَتَكُنَّ ، أيتها الصديقةُ العاملَةُ ! »

فقالت له :

« إن شَريعَتَنا — على قسوَتِها — عادلَةٌ . وقد أَلِفْناها ، ودرَج عليها أسلافُنا . ولا حيلَةَ لنا فى تغييرِها أو تبديلِ شىءٍ من نصوصها ، وهى تَسْرِى على سوادِ النحلِ (الكثْرةِ الغالبةِ فيه) وعلى خُصوصِه (القِلَّة

المُمتازة مِنهُ) ، فَلا تُبْـقِي خادِمًا ولا تَرْحَمُ أميرًا . »

١٢ — خاتمةُ القصةِ

ثم قالتِ اليعسوبُ :

« لقد حان وقتُ العودَةِ . فَهل تأذنان لنا بوَداعِكُما ، أيها الصَّديقان ؟ »

فَقال « صفاءٌ » و « سعادُ » :

« لَوَدِدْنا أن تَبْقَيا معنا ، فَقد سحرتُمانا بحديثِكُما العذبِ ! »

فَقالت اليعسوبُ والنحلة العاملةُ :

« إن لَدَينا أعمالًا كثيرةً ، ولا سبيلَ إلى تأجيلِها ، وحسبُكما ما عرفْتماه فى هٰذه المرَّةِ ، فوَداعًا أيُّها الصديقان ! »

* * *

فَشكر لهما الشقيقانِ تلك الدُّروسَ الثمينَةَ التى تَعلَّماها منهما ، وودَّعاهما .

فَبسطتِ النحلتان أجنحَتَهُما ، ثم انطلقتا طائرتيْن فى الفضاء ، حتى اسْتَخفَتا عن الأنظارِ . وعاد الشقيقان إلى بيتِهما يُحَدِّثان أبوَيهِما وأصحابَهما

بِما عَرَفاه فى يومِهما السعيدِ ، عن حياةِ النحل العجيبةِ .

* * *

وكان ذلك الدَّرسُ أكبرَ حافِز (أَعْظَمَ دافِعٍ) لهما على الاِستزادَةِ من القراءَةِ فى كُتُبِ النَّحلِ ، ليتعرفا — من دقائِقه — كل مُعْجِبٍ ومُطْرِبٍ .

(انتهت القصة)

إلمامة فى النحل

« قبسنا هذا المقال النفيس من دائرة المعارف الفرنسية ، ليكون مرجعاً للمدرس فى تدريس قصة النحلة العاملة . »

أقسام النحل

ينقسم النحل إلى الأقسام التالية :

ذكور وإناث وعاملات . وهى كاملة الأجنحة طول حياتها . وللإناث والعاملات إبر قوية على الأغلب الأعم ، وإن كان بعضها ضعيفاً . وأجنحتها تنبسط على جسمها فى أثناء الراحة . وتنطوى الأجنحة العليا تبعاً للمحور الأكبر . أما شفاه النحل وفكوكه ، فهى طويلة ، تشبه — فى طولها — الخرطوم . وتقل مرونة الشفة السفلى واتصالها بالطرف الحريرى . وتبدو سوقها الأمامية شائكة الأطراف . وهى — عند العاملات — ذات عرض والتواء ، كأنها ملعقة عقفاء .

وترى الفقرة الأولى من أجزاء النحلات العاملة الأمامية كبيرة جداً . وشكلها مربع ، أو مثلث مقلوب . وقد تتصل أحياناً بالزاوية الخارجية لقاعدتها فتشبه أذناً صغيرة .

أما بطن النحل ، فهو مؤتلف من سبع عقد للذكور ، وست عقد للإناث العاملات .

خواص النحل وأنواعه

ويمكن تلخيص أهم خواص النحل التى تميزه فيما يلى :

أن جسمه مغطى بالشعر ، وهو أكثر ما يكون كثافة ووضوحاً على السلسلة الفقرية .

وفى رأسه ثلاثة ثقوب ، أو — على الأصح — ثلاث عيون تبدو على شكل مثلث . أما تركيبه الجسمى فهو متماثل . وتتكوّن فصيلته من اثنى عشر نوعاً موزعة كلها على الأقاليم المعتدلة أو الحارة . وأهم هذه الأنواع هى النحلة المنزلية ، وقد أطلق عليها أسماء عدة ، وعرفها العبرانيون واليونان ، منذ أقدم العصور . ولعل أصلها من اليونان ، أو من آسية الصغرى ، ثم تنقلت — بالتدريج — إلى جميع أنحاء أوروبا .

وقد زاد عدد النحل المنزلى — فى هذا العصر — لانتشار الزراعة فى أغلب أنحاء الأرض . وهو كثير فى شمال إفريقية كله ، وبخاصة فى الجزائر ، لا سيما المنطقة التى فى شرقها .

وترى النحلة المنزلية فى جزائر «كناريا» أيضاً ، وجزائر «ماديرا» . كما تراها فى بلاد السنغال ، ورأس الرجاء الصالح . وقد نقلت إلى أمريكا ، وما إن حلت بها حتى ألفت مناخها ، وانطبعت بطابع أقاليمها فى الشمال والجنوب ، وانتشرت فى الأرجاء الحارة ، وحلت محل غيرها من النحل القديم . ولم يمض زمن يسير حتى أدخلت فى جزائر «الأنتيل» وبخاصة فى «هافانا» و «هايتى» و «جاميكا» و «مارتنيك» ، ثم أدخلت «أستراليا» و «نيوزيلندة» وجزائر «سندويتش» ، كما أنها توجد فى جزائر «أوكلند» على التحقيق .

ويوجد من هذا النحل أنواع عدة ، وهو شائع فى جنوب أوروبة ، لا سيما «توسكانيا» و «صقلية» و «كريت» و «اليونان» .

وقد تغنى «فرجيل» بهذه النحلة فى الكتاب الرابع من «جورجيانه» . وليس أيسر من تعرفها لأول وهلة ، لأن لونها الحريرى يميز الأجزاء الثلاثة الأولى من بطنها . وقد أطلقوا عليها اسم : النحلة الصفراء (فى لغتهم الدارجة) ليميزوها من النحلة السوداء ، المألوفة فى فرنسا ، وانجلترا ، وألمانيا ، وروسيا .

وقد نقلت إلى فرنسا ، وانجلترا ، وألمانيا ، والسويد ، والدانيمرك ، وبخاصة الولايات المتحدة حيث تعمل الآن دائماً مع النحلة المحلية .

ومن الأنواع المعروفة ، ما يسمونه بالنحل المصرى ، وقد عاش فى مصر منذ أقدم الأزمنة . ويوجد هذا النوع فى بلاد العرب وآسية الصغرى . وهو أدكن ، يضرب إلى السواد . والجزءان الأولان من البطن أصفران مشوبان باحمرار . أما الأجزاء الباقية من البطن فرمادية دكن . وأجنحة هذا النحل صفر ، وهو مصور على الآثار المصرية .

ويعيش النحل جماعات عدة مؤتلفة . ويستوى فى ذلك النحل البرى ، والنحل المنزلى . ويعيش الأول فى فجوات الأرض ، وثغرات الأشجار ، والصخور ، وغيرها . ويصبح شبه منزلى حين يعيش فى البيوت التى يصنعها له الإنسان ، ويطلق عليها اسم : الخلايا .

أسرة النحل

وتتألف كل جماعة — أو : ثول — من ذكور وإناث . مخصبة وغير مخصبة ، يطلق عليها اسم : العاملات . ويختلف بعض هـذه الأنواع الثلاثة عن بعض فى أشكالها الخارجية وأعمالها التى تؤديها فى مملكة النحل .

والنحلة المنزلية هى أجدر أنواع النحل بالشرح والتوضيح ، وهى التى تحـوى

النحلة المنزلية
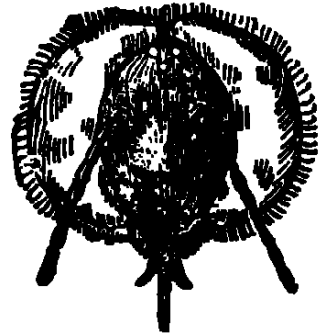
(رأس اليمخور)

اليمخور ، أو — كما يسمونه — الطنان الزائف . وإنمـا أطلقوا عليه ذلك لأنه يحدث ضجيجاً وطنينـاً فى أثناء الطيران . وهـو أكـبر حجماً من العاملات وأكثر شعراً .

وليس للنحـلة المنزلية من عمل غـير إخصاب الإناث . وهي تمتاز عن غيرها بأدنى تأمل ، لأن رأسها كبير مستدير ، وعينيها فى الخلف ، وسوقها كلها سود ، وبطنهـا منفرج فى نهايته ، ومنحن فى الجـزء الأسفل . ولها إبرة ، وأرجلهـا الأمامية أقصر من أرجـل

(رأس العاملة) (رأس اليعسوب)

النحلات العاملة . وهى محـدودبة من الخارج ، وبها شعر . وليس لها أسنان بارزة فى الجزء الأعلى .

والنحلات المخصبـة ، ولا يوجد منها عادة إلا واحدة فى كل خلية ، وتسمى : « اليعسوب » ، أو : ملكـة النحل . ورأسها مثلث الشكل ، وترى عينيهـا إلى جانبها ، وأجنحتها أقصر من بطنها . وليس لهذه النحلة المخصبة من عمل فى خليتها إلا أن تبيض ، أى أنهـا جادة دائبة على إنمـاء عدد نحلات الخليـة وزيادة جنسهـا . وهى مسلحة بإبرة منحنية أكبر من إبرة النحلة العاملة .

أما النحلات العاملات ، فهى أكثر نحال الخليـــة عدداً . وهى تضطلع بالأعمال الهامة كلها . وهى عماد الخلية، ومصدر بقائها ، وسر سعادتها ورقيها ، ولها مميزاتها وخواصها العامة التى تمتاز بها عن النحلات المخصبة . وأخص ما تعرف به حجمهـــا الصغير ، ولسانها الطويل ، ومنظر أرجلهـــا الأمامية ، وما عليها من الشعر. كما تمتاز بأن فى طرفها شيئاً أشبه بسلاح مربـــع أملس من الخارج ، ولكنـــه . مغطى — من الداخل — بشعر ناعم مضموم على هيئة صفوف متقاطعة منتظمة ، هى أشبه ما تكون بفرجون . وحافتهـــا العليا عريضة من الخارج ، فإذا هبطت إلى الحافة السفلى: رأيت شيئاً أشبه بمقبض ، تجنى به قطع الشمع التى تفرزها حلقات البطن .
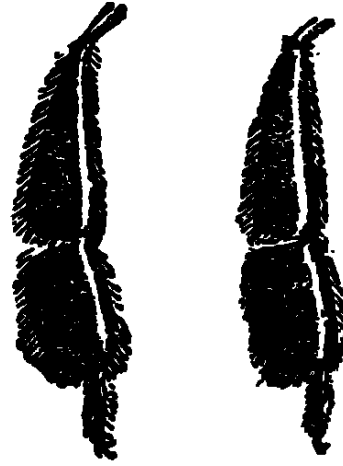
إعداد الخلية

ومتى حل ثول مكاناً ، أو خلية، رأيت النحـــلات العاملات تبدأ قبل كل شىء بسد الثقوب والعيون ، حتى لا يتسرب الضوء أو الهواء البارد إلى داخل البيت الذى اتخذته لهـــا داراً . ثم لا تدع غير ثقب صغير ضيق ليكون باب خليتها، إذا أرادت الدخول أو الخروج .وهى تعمل دائبة على ســـد تلك الثقوب بمـــا تأتى به من المواد اللزجة ، التى تحصل عليها من أوراق الأشجار .

ومتى أتمت هذا العمل ، وأحكمت سد المنافذ والثقوب ، اجتمعت فى بيتها طائفة من العامـــلات لبنـــاء النخاريب ، وإعداد أقـــراص العسل التى تهيئها، لتكون عشاشاً ، وبيوتاً للنحـــل الصغير متى تم فقسه من البيض. ويكون هو فى ذلك الوقت دوداً صغيراً يتدرج فى النمـــاء ، حتى يصبح نحلا .

ثم تنشئ مستودعات لخـــزن الطعام فى خليتهـــا ، وتكون هـــذه الأقراص فى قبـــة الخلية عادة ، وهى على أشكال متوازية غالباً ، وبين كل قرص وآخـــر فراغ بمقدار سنتيمتر ، ليمـــر النحل من

خلاله ، ويتألف كل قرص من عدد كبير من الثقوب ذات الشكل المسدس ، موضوع بعضها فوق بعض ، تتصل نهايتها بأوسطهـــا . ولكن الخلايا التي على وجهي القرص لا تتعارض إحداها مع الأخـــرى تعارضاً تاماً ، لأن كل واحدة منهـــا تنتهي بأخرى هرمية الشكل ، تنتج من اجتماع ثلاثة معينات متساويـــة ، بحيث يكون أول الخلية مواجهاً لآخـــر الخليات الثلاث التي في الجهة المقابلة .

ولا ريب في أن هـــذه الطريقة هي أمثـــل الطرق إلى الاقتصاد في الوقت والمكان والمادة ، فإنها تقتصد في الشمع الذي تبني به ، وفي المكان الذي تحتله . فلا عجب إذا قلنا مع المسيو « لالان » في مذكـــراته عن إنشـــاءات النحل :

لقدحلت النحل بذلك الأســـلوب الهنـــدسي - الذي ابتدعته في بناء مســـاكنهـــا — مســـألة الأقلية . وقد وضعت جدران منشئاتها البديعة على أحسن طريقة اقتصادية . فقد عرفت كيف تقتصد — ما وسعها الاقتصاد — في المادة والعمل والحجم الذي تحل فيه . »

ولهذه الخلايا المسدسة حجمان ، فالصغيرة منها خاصة بصغار العاملات ، ومن سوادها تتكون الأقراص ، وهي تحتل وسط الخلية كله تقريباً ، أما الكبرى فخاصة بصغار الذكور ، وهذان النوعان من الخلايا يصلحان أيضاً لخزن منتوج العسل والرحيق .

وقد يتألف القرص الواحد — في نفس الوقت — من عيون كبيرة ، وعيون صغيرة ، سواء على الوجهات المتعارضة أو على الوجهة الواحدة ، فإذا كانت الأخرى استطاعت العامـــلات أن تصل بين الأولى والثانية عن طريق بعض خلايا أخرى كبيرة مستديرة على شكل إناء ، تحمل جدرانه الكثيفة ثقلا تزيد زنته مائة مرة عن الشمع الذي تراه في خلية عاملة .

وهذه الخليات الهائلة التي يسمونها بالخـــلايا الملوكية العادية أو الطبيعية —

هى وقف على الديدان التى اختصت بأن تنتج نحلات مخصبة ، يطلقون عليها – بغير حق – اسم : « الملكات » . وهى موضوعة غالباً على حافة الأقراص ، وأكثرها يهدم بعد أن تخرج منها أمات النحل .

وربما وجدت أقراص وخلايا أخرى ذات شكل مماثل فى الداخل ، وإن كانت أحجامها صغيرة ، وهى التى يطلقون عليها اسم : الخلايا الملوكية الصناعية ، وهى لا تتألف إلا بعد أن تدمر النحل كثيراً من خلايا العاملات ، عندما تكون النحل فى حاجة إلى فقس نحلات جديدة مخصبة ، لتحل إحداها محل ملكته – بعد موتها – من تلك الأمات الجديدة .

إبرة النحل

وترى – على جانب الأمعاء – فى القسم الأسفل من البطن : آلة السم ، وليس لها وجود عند الذكور ، وإن وجدت عند العاملات واليعاسيب . وهى مؤلفة من غدة سمية ، وإبرة محددة يسرى فيها السم .

وهذه الغدد أشبه بأنابيب طويلة بعض بسيطة التركيب ، ينتهى طرفاها المنتفخان قليلا بمخزن صغير يماثل الأنابيب الدقيقة ، ويسمى : خزان السم . وليس له لون ، وهو شفاف عند العاملات ، ولبنى اللون عند اليعاسيب . وليس لهذا الخزان غشاء عضوى ، كذلك الغشاء الذى تراه فى الزنابير وغيرها من الحشرات التى من هذا النوع .

وهذا السم الذى يحويه ، هو دائماً حمضى ، يأتلف من سائلين ، أحدهما حمضى شديد ، والثانى قلوى ضعيف . وليس لذلك السم من أثر أو عمل إلا إذا كان مؤلفاً من هذين السائلين .

ويفتح فى الطرف الثانى من الخزان مجرى إفرازى ضيق ينتهى بآلة دقيقة ، قائمة على الجسم ، مركزة على أربع عضلات مؤلفة من قطع صغيرة تشدها خيوط قوية ، ولها كيس كأنه ساق مقرن أسطوانى يتناقص بالتدرج فى سمكه ، حتى يصل إلى الطرف الحاد ،

ثم ترى الإبرة آخر الأمر ، وهى مكونة من خنجرين طويلين رفيعين ، يرتكز أحدهما على الآخر فى وجههما المنبسط ، وبها خط محفور ضيق .

وينتهى هذان الخنجران بسنين حادين ، بهما أسنان غاية فى الدقة ، وهى — على دقتها — شائكة متجهة إلى الخلف ، وعددها تسع عند العاملات ، وخمس عند اليعاسيب .

وخنجرا الإبرة يتحركان معاً — فى بعض الأحايين — ويتحركان مفترقين فى أحايين أخرى . وفى كلتا الحالتين ترى أن كل دفعة يدفعها الضاغط نقطة من السم تندفع إلى داخل الجرح ، ثم يحل محلها سائل جديد عند قاعدة الكيس . وثم ترى أن آلة نفث السم عند النحل — وما يماثلها من الحشرات — هى فى نفس الوقت آلة جاذبة وحاقنة معاً . وشكلها يماثل حقنة مثقوبة ، لها ضاغطان يضغطان ويهبطان . وهى تقذف السائل فى مجرى الأنبوبة ، وتسحبه من قاع الوعاء . ولك أن تقول : إنها أنبوبة ذات مجرى مثقوب ، تعبأ وتفرغ عند كل حركة من الضاغط .

والإبرة هى — قبل كل شىء — آلة للدفاع ، ولا يبعد أن تكون مساعدة للنحلة فى وضع البيض . وهذه الإبرة تختبئ فى بطن النحلة وقت الراحة دائماً .

تلقيح النحل

ولا تحتاج النحلة إلى أكثر من مرة واحدة تلقح فيها . وهذه المرة تكفيها للإخصاب ووضع البيض ثلاث سنوات أو أربع : أى مدة حياتها . فإن هذا القدر من السنين هو متوسط عمر اليعسوب .

ويتم تلقيح النحل فى الهواء على ارتفاع كبير . وقد اختلف رأى العلماء — قبل أن يهتدوا إلى حقيقة هذا الأمر — فذهب أحدهم إلى أن الرائحة القوية المنبعثة من الذكور — أحياناً — هى كافية للتلقيح ، لأنها تحل سريعاً فى جسم اليعسوب ، وذهب آخر إلى أن سر الإخصاب فى التماس بين الزوجين ولكنه لم يستطع إقامة الدليل على ذلك . وحقق ثالث أن تلقيح النحل يجرى على نفس الطريقة التى يلقح بها بعض الأسماك لتبيض .

ثم جاء « موفيه » ، فقرر أخيراً — وهو أول من قرر هذه الحقيقة — أن اليعسوب تعود إلى الخلية — بعد عملية الإخصاب — وفى عضوها الجنسى خيط رفيع أبيض ، هو نتيجة عضو

التذكير الجنسى .

وقد أقر هذا الرأى جمهرة من العلماء .

ولا تنقضى على الإخصاب أيام ثلاثة حتى تبدأ بيضها ، بعد أن تفحص جميع الحجرات . أما طريقة الفحص ، فهى أن تمد رأسها فى كل واحدة منها ، لتتفقدها بنفسها وتسبرها من جميع أنحائها .

فإذا وثقت من سلامة الغرف ، واطمأنت إلى صلاحيتها ، أدخلت طرف بطنها فى الغرفة ، وألقت فيها أول بيضة تستقر فى نهايتها بفضل المادة اللزجة التى تحيط بها .

أما لون البيضة ، فهو أبيض كلون اللؤلؤة ، وهو يميل إلى الزرقة . ولا تزال النحلة مكبة على عملها حتى تملأ الخلية بيضاً . وهى دائبة لا تتوانى عن أن تبيض طوال الفصل ، ثم تكف عن البيض حوالى نصف أكتوبر ، حين يبدأ البرد ، فلا تستأنف عملها إلا فى الربيع القادم .

وعملية البيض تسير — فى الخلية — فى يسر وانتظام ، وتخرج اليعسوب البيض الأول فى العشرة الأشهر الأولى من حياتها ، فلا ينتج إلا نحلات عاملات . ثم تبيض بعد ذلك بيضاً لا يخرج منه إلا ذكور النحل . ويتراوح عدد البيض بين ١٥٠٠ و ٣٠٠٠ بيضة ، ثم يجىء دور بيض العاملات . وبعد عشرة أيام من ذلك البيض الذى يحتوى عدداً مما يخرج ذكور النحل ، يبدأ بيض الخلايا الملوكية . ولكن ذلك لا يكون إلا بين يوم ويومين ، حتى لا تفقس تلك الأم الفتية البيض كله فى وقت واحد .

وإذا تعجلت اليعسوب فى وضع البيض فإنها تضع — فى كل عين واحدة — أكثر من بيضة ، فتتبعها النحلات العاملات ، وتراقبنها ، ثم تتلفن البيض الزائد وتدمرنه من فورهن .

وبعد أيام ثلاثة تخرج من البيضة (ويستوى فى ذلك الذكور واليعاسيب والعاملات) دودة بيضاوية الشكل بيضاء ، تلتف على نفسها فى آخر الغرفة ، فتبدأ بعض العاملات فى العناية بهذه الديدان ، ويسهرن على تربيتها وتغذيتها . ويسمين : المربيات . وهذه المربيات غير العاملات التى تنقطع لصنع أقراص العسل .

وتزور المربيات الخلية مرات عدة فى كل يوم ، وتلقى للأطفال الناشئة من النحل ما تحتاج إليه من غذاء لتقويتها . وهى تقدم إليها — حينئذ — نوعاً من المرق مركباً من عسل وماء ورحيق . ولا تقدم للذكر من الديدان والعاملات منه سوى هذا المرق ، بأقدار متساوية

تكفى لحفظ حياتها .

أما يعاسيب الديدان ، فيقـدم لها العاملات مرقاً من نوع آخر ، لتكوين أجسامها وأعضائها النسوية . ويسمون هذا الغذاء : بالفطيرة الملوكية . وهو مادة متجمدة شيئاً ما ، ويحتوى على قليل من الشمع والسكر ، وتسعة أعشـاره من الزلال وغيره . وهذا اللون من الغـذاء هو الخاص بتكوين الإناث تماماً ، وهذا يفسر لنا كيف يمكن العاملات التى فقدت أمها اليعسوب أن تستعيض عنهـا — متى شاءت — بإنجاب يعسوب أخـرى تحل مكانها ، وتؤدى عملها فى البيض والفقس .

ومن خصائص هـذا الغذاء أنه إذا سقطت منـه بضع ذرات على بيض العاملات الذى يكتنف الغرف الملوكية تغـير نوعها متى تغذت ديدانها منه . ولكن النحلة التى تخرج من ذلك البيض لا تبيض بعـد ذلك إلا بيضاً يفقس اليمخور فقط (أو الطنـان الزائف كما يسمونه) . وثمـة يطلقون على تلك النحلة — إذا تكونت — اسم الأم الطنانة .

نشأة النحلة

ومتى ظفرت الديدان بحظها الكامل من الغذاء كف العامـلات عن تقديم شىء من الطعام إليها . وثمة يغلقن الحجرات عليها ، ويحكمن سدادها بالشمع ، ويجعلن غطاءها كالقباب الصغيرة على حجرات العاملة ، والطنان الزائف . أما حجرة اليعسوب فيكون غطاؤها على شكل جرس .

وثم ترى أن جسم كل دودة قد غطى بشعر رقيق حريرى ، واكتسى تـلك الحلة التى يمتاز بهـا النحل . ثم لا تلبث كل دودة أن تصبح عذراء ، ثم تتدرج فى نمائها ، فتصبح نحلة تامة التكوين .

وتختلف مدد التكوين تبعاً لاختلاف الأنواع ، فالعاملات يلبثن سبعـة أيام أو ثمانية فى دور العذارى ، وفى اليوم العشرين الذى انقضى على فقس البيضة ، يمزقن ذلك الغلاف الحريرى الذى يكسوهن ، ويقرضن غطاء الحجـرات ويخـرجن مجنحات . وفى هذه السن يبقين على حافة الأقراص ، لأن الرطوبة والرخاوة لم تزايلاها بعـد . ثم تجىء عاملات أخـريات ، فيحطن بهن ، ويلحسنهن ، ويشربن ما فى أجسادهن من رطوبة ، ويقدمن لهـن غذاءهن من العسل . ولا يمـر عليهن أربع وعشرون ساعة — بعد خروجهن من الخلايا — حتى يذهبن إلى الخلاء لامتصاص الزهر ، وورق الشجر .

أما الذكور فلا تصير نحلا تامة التكوين، إلا بعد أربعة وعشرين يوماً ، منذ تفقس بيضاتها ، ولا تعيش إلا زهاء شهرين أو ثلاثة ، لأن العاملات لا تلبث أن تقتلها أو يطردنها خارج الخلية ، لتتخلص من عبئها الثقيل ، بعد أن تضع اليعسوب بيضها ، لأنهن يرونها عديمة الجدوى قليلة الغناء . أما اليعاسيب فإن الغلاف الذى ينسجنه حولها — وهن عذارى — لا يغطى من أجسامهن إلا جزءاً ، ثم يتركن بطونهن عارية . وهى تسجنهن فى اليوم السادس عشر منذ وضع البيضة .

وإذا ظلت اليعسوب فى الخلية ، بقيت النحلات الصغيرات فى حجراتهن سجينات تحت نظرها ، ولا تلبث العاملات أن تضيق عليهن ، وتقوى غطاء الحجرات بنطاق من الشمع ليس فيه إلا ثقب واحد صغير ينفثن منه العسل لتلك الإناث الصغيرات فى سجنهن ، ولا يطلقن سراح واحدة منهن إلا إذا تركت اليعسوب خليتها . ومتى بدأ الدود يخرج من الخلايا ، فإن الفقس يظل متواصلا تبعاً لحالة الجو ، وتراه سريعاً فى وقت الحر ، بطيئاً فى زمن البرد .

وفى كل يوم يتكاثر عدد النحل ويزداد ، فلا يمر يوم حتى يظهر للوجود جمهرة من النحلات العاملة واليماخير (الطنانة الزائفة) . أما اليعاسيب الصغيرات فتظل حيث هى سجينة ترقب حريتها يوماً بعد يوم .

ثم يأتى يوم يتضاعف فيه عدد النحل ويزداد حتى تضيق به الخلية ، فيضطر جماعة منه إلى البقاء خارجها ، وهكذا تكثر الخلايا ويتكون الثول .

ثورة النحل

ولا يتم ذلك إلا بثورة عنيفة ، تبدأ بطنين النحل فى أثناء الليل ، — فى فترات متقطعة — ويجتمع سواد النحل أمام الخلية ، فإذا عادت نحلة من الخارج مثقلة بما جنته من الرحيق ، لم تفرغه فى الخلية — كما كانت تفعل من قبل — وآثرت أن تنضم إلى رفاقها من الطوائف الأخرى .

ويسود الاضطراب ، ويشتد الهياج داخل الخلية ، ويستولى الذعر والخوف على اليعسوب حين ترى تذمر اليعاسيب الصغيرة وجريها متمردة حول الأقراص ، مندفعة حانقة إلى المنافذ ، باذلة جهدها فى اقتحام عرش مليكتها وتهب النحلات العاملات إلى تلك الثائرات — من اليعاسيب — فتحول بينها وبين ما تريد ،

وتقسرها على البقـــاء حيث هى ، فتعود مهمومة حزينة كاسفة البـــال ، شاكية إلى أخواتها ما تلقاه من هم وألم .

ويسود الاضطراب والهرج ، فلا تعنى النحلات بالديدان أقل عناية ، ولا تشغل بالها بتقديم الغذاء إليها .

ثم تعود النحلات الجانيات إلى الخلية حاملات ما جنينه من الأزهـــار ، فلا يكدن يقتربن منها حتى يشركن الثائرات فى تمردهن ويشاطرنهن ذلك الشعـــور ، العام . ويطرن حول الخلايا دون أن يفرغن ما معهن من الزاد .

وترتفع درجة الحرارة فى الخلية إلى ٣١ ، وربمـــا بلغت ٣٣ ، فيشتد الهيـــاج والصخب ، وتنتقض الأمور كلها . فلا ترى النحل بداً من هجر الخلية . وثم يطير عـــدد من النحلات العاملات إلى الخارج ، تتبعها اليعسوب ، ومعها جمهرة قليلة من اليماخير . وهكـــذا يتألف الثول . فيطير فى الهواء وهو يملأ الجو طنيناً ، ثم يقر — بعد لحظات — على فرع شجـــرة ، ويزداد عدده بين دقيقة وأخرى . ولا يلبث النحل المتأخر فى الخارج أن ينضم إليه .

ثم يستولى السكون على تلك الجمهرة الكبيرة ؛ ويبقى ذلك الثول دون حراك ، ولا تلبث حيرته زمناً طويلا حتى لا يضل طريقه . ولا يتشتت شمله ، وسرعان ما يهتدى إلى ثقب فى شجرة ، أو ثغرة فى صخرة ، أو حفرة فى بعض النباتات القديمة ، أو سطح منزل مهجور .

وثمة يستقر فى بيته الجديد ، بعد أن هجر خليته القديمة .

صراع اليعاسيب

ويبقى بالخلية القديمة — بعد أن هجرها سواد النحل — فراغ كبير ، وبعد قليل تعود النحلات العاملات التى كانت فى الخارج ، ولم تشترك مع الثوار فى الهجرة . ولا تكاد تعود إلى خليتها ، حتى يدهشها ذلك الفراغ ، فلا تنى عن الفقس — من جديد — حتى تعمر الخليـــة بعد أيام قليلة بأهلها الجدد من النحل .

ولا ترى العاملات فائدة من سجن اليعاسيب الصغيرات كلهـــا ، فتطلق سراح أول يعسوب قادرة على الفقس ، ثم يلقحها بعض اليماخير . ويكون أول ما تبدأ به الملكة أعمالها . هو أن تقتـــل اليعاسيب السجينة فى الخلية كلها ، بلا شفقة ولا رحمة . فليس من المستطـــاع أن تبقى فى خليـــة واحدة ملكتان فى

آن واحد ، لأن العاملات لا يقدرن على أن يخدمن يعسوبين معاً .

أما سلطان اليعسوب الجديــدة فلا يثبت ويستقر بين سواد النحل بسرعة ، فربما يحدث عقب الثــورة السابقة التى ثارهــا النحل أن تخرج يعسوبان متكافئتان من سجنهما ، فى وقت واحد . فلا تطيق إحداهما بقاء الأخرى معها ، ولا تلبثان أن تشتبكا معاً فى صراع طاحن : وقتال مميت ، ينتهى بفوز إحداهما على الأخرى . فإذا قتلتها بإبرتها ثبتت لها الإمارة واستتب لها الملك .

معجم النحال الصغير

(ا)

الإبرة : التى تلسع بها النحل
الأبكار : النحل فى أول ما تعسل
الأخراص : قضبان يشار بها
الأرى : العسل
استضرب : غلظ
الإيام : اسم الدخان الذى ينشر فى الخلية فتخرج النحل عسلها .

(ت)

تأرت النحلة : عملت العسل

(ث)

الثول : ذكر النحل (أوجماعة النحل)

(ج)

جرست النحل : إذا أكلت الشجر لتعسل
الجلاء : إذا دخنت الخلية يريدون شيار العسل فذلك الجلاء ، وهى جلوة النحل
جنى النحل : العسل .

(خ)

الخلية : بيت النحل
الخافة : جبة يلبسها العسال

(د)

الدبر : جماعة النحل (وجمعه دبور)
الديسم : ولد النحل

(ر)

الرصع : فراخ النحل (واحدتها رصعة)
رضاب النحل : العسل

(ش)

الشور : العمل فى اجتناء العسل ، وسمى به العسل نفسه .

(ض)

الضرب (والضريب) : العسل

(ط)

الطرد : فراخ النحل

(ع)

العارض : الكثير من النحل
العث : دود يخلق فى البنية يضر بالنحل
العسال (والعاسل) : مشتار العسل
العسل : لعاب النحل (يذكر ويؤنث)
عسل النحل : عمل العسل
العسالة : الشورة التى يعسل فيها النحال
العكبر : شىء تجىء به النحل إلى بيوتها ليس بشمع ولا بعسل ، ولكن بينهما ، وهو طلع الأزهار ، أى مادة تلقيحها

(ف)

الفتخاء : شىء مربع من خشب ، يجلس عليه مشتار العسل (كرسى العسال)

(ق)

قطفت العسل : جنيته

(ك)

الكوائر : بيت النحل عندما يتخذه لها الناس .

(ل)

اللصوص : صنف من النحل الذكور تخاتل النحل ، وتسرق العسل .

اللوث : فراخ النحل

(م)

المباءة : بيت النحل
المشوار : ما تشور به العسل
المشوارة : الموضع الذى تعسل فيه النحل
مكان عاسل : ذو عسل
المحارين : الشهدة تبعد فلا يسهل إخراجها
المخربة : الشهدة نخاريبها مفرغة
المحجن : عصا يجتذب بها ما نأى من الشهد .
المنزعة : خشبة عريضة ينزع بها النحل اللوازق بالعسل
الموم : الشمع

(ن)

النحل : ذباب العسل
النحلة : أنثى النحل
النحل الضاىء : الذى ليس له يعسوب
النحائت : ما يعسل فيه النحل مما يتخذه له الناس من الخشب خاصة
النخاريب : ثقوب مهيأة من الشمع ليمج النحل العسل فيها (والنحل تخرج العسل من تحت جناحها لا من فيها) .

(هـ)

الهِفّ : الشهدة رقيقة خفيفة قليلة العسل

(و)

الوخفة : الخــافة (وهى الجبـــة يلبسها العسال)

(ى)

اليعسوب : ملكة النحل

اليماخير : من أعظم النحل ، وأشدها سواداً

رقم الإيداع	١٩٩٣ / ٢٨٣١
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-3996-8

١ / ٩٢ / ١٩١

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

مكتبة الأطفال بقلم كامل كيلانى

قصص فكاهية

١ عمارة . ٢ الأرنب الذكى .
٣ عفاريت اللصوص. ٤ نعمان .
٥ العرندس . ٦ أبو الحسن .
٧ حذاء الطنبورى . ٨ بنت الصباغ .

قصص من ألف ليلة

١ بابا عبد الله والدرويش .
٢ أبو صير وأبو قير . ٣ على بابا .
٤ عبد الله البرى وعبد الله البحرى .
٥ الملك عجيب . ٦ خسروشاه .
٧ السندباد البحرى . ٨ علاء الدين .
٩ تاجر بغداد . ١٠ مدينة النحاس .

قصص هندية

١ الشيخ الهندى . ٢ الوزير السجين .
٣ الأميرة القاسية . ٤ خاتم الذكرى .
٥ شبكة الموت . ٦ فى غابة الشياطين .
٧ صراع الأخوين .

قصص شكسبير

١ العاصفة . ٢ تاجر البندقية .
٣ يوليوس قيصر . ٤ الملك لير .

أساطير العالم

١ الملك ميداس . ٢ فى بلاد العجائب .
٣ القصر الهندى . ٤ قصاص الأثر .
٥ بطل أثينا . ٦ الفيل الأبيض .

قصص علمية

١ أصدقاء الربيع . ٢ زهرة البرسيم .
٣ فى الاصطبل . ٤ جبارة الغابة .
٥ أسرة السناجيب . ٦ أم سند وأم هند .
٧ الصديقتان . ٨ أم مازن .
٩ العنكب الحزين . ١٠ النحلة العاملة .

أشهر القصص

١ جلفر فى بلاد الأقزام .
٢ « فى بلاد العمالقة .
٣ « فى الجزيرة الطيارة .
٤ « فى جزيرة الجياد الناطقة .
٥ روبنسن كروزو .

قصص عربية

١ حى بن يقظان . ٢ ابن جبير .

قصص تمثيلية

١ الملك النجار .

دار المعارف